ولي الدين يكن

للاديب عبد الخالق عبد الرحمن

هنالك صحائف مطوية لشعراء عاشوا فى العصر الأخير لم يذكر لنا الكتاب عن سيرتهم ما يروى الغلة وقد أثرت أن أجمع بعض الأشتات فأكون مقالة عن الشاعر الأديب المرحوم ولى الدين يكن. فهو شاعر فى كلا الفنين المنظوم والمنثور يصوغ كلامه المرسل كأنه شعر موزون ويسبك الشعر كأنه النثر سهولة وطلاقة وطبيعة وانقياد قواف ، حتى لو حللت نظمه ما جئت بأسهل منه ، فأنت بين هذا النثر الأنيق وذلك الشعر الطلى لا تدرى أولى الدين أشعر فى هذا أم فى ذاك ، لازمه لأنه لم يجر قلمه إلا بما خفق به قلبه . وهو فى كلا الفنين ذو القلب المتألم مما حوله ولمن حوله. ولأنه قلب حساس شريف تخدمه مخيلة ترى ما لا يراه الغير حتى أصبح كما قال هو عن نفسه

قلبي يحس وهذه عيني ترى ما حيلتي فيما يحس وما يرى

كان ولى الدين شاعراً فى قصائده العصماء يحلق فى عالمه العلوى بجناحى الخيال والشعور، وينظم فى سلك بيانه الابتسامات والدموع درراً اين منها الجواهر التى تزين النحور .

كان شاعراً فى (معلومه ومجهوله) وقد ضمنه مذكراته عن منفاه فظهر كأنه المغلوب الغالب والمقهور القاهر .

كان شاعراً فى (صحائفه السود) وهو يئن من الظالم الذى انتابه، والحيف الذى لحقه، والجهالة التى سدت عليه منافذ الحرية، فكان فى أنينه ذوى التهديد، وفى شكواه رعد الوعيد .

كان شاعراً فى (تجاربه) وما استفاد تجربة — ككل مجرب — إلا وقد امتلكها بشيء يخسره من الأمل حتى جاءت كما يقول وكما هى (ألام مصوره وشكاوى متجسدة)

كان شاعراً ملء روحه الشاعرية وملء قلمه الفصاحة ، يسهوى النفس بسلاسة ألفاظه ورقة قوافيه وعذوبة أسلوبه ، ويملك القلب بلطف معانيه التى يصورها تصويراً كله سلامة فى الذوق ونزاهة فى الفن وجزالة فى التعبير الرائع ، وقوة فى التركيب الفنى وموسيقية الألفاظ المنتقاة فتراه يسترضى القارىء ساعة حتى ليملأ قلبه سروراً وصفاء . ويستبكيه حين يبكى ويتألم حتى ليجعله يلمس دموعه لمس اليد ويحس بناره تتأجج من خلال ألفاظه .

لقد مازجت شاعرية ولى الدين يكن نفساً عزيزة حساسة وقلباً شريفاً عفيفاً فكان اذا تأثرت نفسه وخفق فؤاده قال الشعر فيرسله دون إتعاب فكر ولا اجهاد قريحة. وقد ظهرت خصائص هذه الشاعرية فى امتداد نفس القول لديه امتداداً لم يدرك فيه عاطفته المندفعة ضعف ولا فتور، وفى استقصاء الموضوع استقصاء يشمل جميع نواحيه فى روعة الأسلوب الذى يهز الشاعر هزاً عنيفاً ويترك فى النفوس أثراً عميقاً .

هذا قليل من كثير وغيض من فيض عن ولى الدين الشاعر الكبير . أما ولى الدين الحر الشريف المخلص بين أشرف الأحرار فلا تقل منزلته عن منزلة ذاك

كان حراً فى تفكيره وأقواله ، كان فى طليعة أحرار الشرق متعطشاً إلى الحرية والاستقلال والانعتاق من القيود التى ثقلت عليه فقد صهر أغلال التقييد فكسرها ورفع فوقها علم الاستقلال الفكرى عالياً خفاقاً فكان لا يقول إلا ما يوحيه إليه يقينه ووجدانه حتى كان كالشاعر الملك الضليل أمرىء القيس لا يقول الشعر رهبة ولا رغبة فأمكنه أن يباهى فيقول .

إذم فلا أخشى عقاباً يصيبنى وامدح لا أرجو بذاك ثواباً

وهكذا كان شأنه فى كل ما كتب ونظم وهذا ما كان يريد أن يكون لسان حال الغير قال (لا أبالى الثناء ولا أبالى الهجاء وانما أبالى ان يصدق فى أحدهما) ولطالما أضرت حريته هذه بمصلحته بين قومه بل وبين عشيرته كما يعرف ذلك معاصروه . ولو شاء ولى الدين أن يضحى ولو بالقليل من حرية رأيه واستقلاله الفكرى لكان له شأن كبير فى تركيا أولاً وفى مصر ثانياً ؛ ولكنه آثر على كل ذلك أن يعيش حراً طليقاً فيقول :

وأعتلى كرسى مستكبرا كالملك فوق العرش إذ يعتلى